فصل فى إجلال وإكرام
بيت الله الحرام .. وبيان جميع أحواله

أولاً ؛ إن الحقير إلى ربه آوليا منذ أن وعي الدنيا ، وشب عن الطوق وأصبح فى عمر الشباب ، وهو يتمنى من كل قلبه ، وروحه أن يكون مولعاً بالسياحة ، وطالباً للرحلة ؛ وأنه كلما أمعنت النظر فيما ترى عيناى ازدادت رغبتى فى ذلك ، وأكون طوعاً للمكان .. وأظل محبوس الفؤاد بالبلاد التى نزلت قدماي بها . وأُمعن النظر فى سمائها ، لأرى نجومها السَّيارة ، وأُشاهد بروجها برجاً ، برجاً .. وأقطع لذلك المنازل وأطوى المراحل . وأُسابق رياح الصبا فى قطع الديار حتى أصل إلى موطن الحبيب المصطفى .. وقد قضيت وقتاً طويلاً آحياناً فى الذكر ، وأحياناً فى قراءة المدائح النبوية ، وأحياناً فى تلاوة القرآن الكريم .. وأحياناً فى السير والمشاهدة ، والتطلع إلى كل ما يقابلنى فى المدن العظيمة ، والقلاع القديمة .. وأعبر الأنهار ، واتخطى الجبال والوديان وكنت كلما تواتينى الفرصة أرجع إلى علم الهيئة = « الفلك » وكتب الآطالس الجغرافية .. وأبذل الهمة فى تدوين ما رأيت ، وتوثيق ما كتبت ؛ وأتخذ من همة الأوائل نبراساً أهتدى به ... وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى أتممت الحج فى سنة ١٠٨٢ هـ وطفت ببيت الله العتيق .. وإلتزمت – بعد الإطلاع على بعض الكتب المعتبرة ، وأوصاف مكة المكرمة ، – أن أُدون بعضٍ من أحوال مكة ، وتجرأت على ذلك بعون الله .. وبالله التوفيق.

أولاً ؛ خلق الله السموات والأرض من العدم يلفظ « كن » فيكون ، ثم استوى على العرش ، وفقاً للآية الكريمة .. ﴿ ... **فى ستة أيام ثم استوى على العرش** .. ﴾ ويسترسل المؤلف فى الحديث عن خلق السموات والأرض وما فيها من جبال ، ومياه .. ويفصل القول فى الجبال ويُبين أن أعلاها على سطح الأرض مائة وثمان وأربعون جبلاً .. وهم منبع المياه .. وأن جبريل الأمين بأمر من الله سبحانه وتعالى حوَّل سبعة من هذه الجبال إلى رماد فى قبضته .. ومن تراب هذه الجبال السبعة أقام سيدنا ابراهيم عليه السلام الكعبة ، وبناها .. وفى مكانها ذكر لهذه الجبال السبعة . ويقول أن سبب تسميتها بالكعبة لأنها مربعة الشكل . ويقول وأن سبب وصفها بالحرم ، هو تعظيم من الخالق لها .. وأورد المؤلف الآحاديث الواردة فى حق الكعبة المشرفة ... ثم يستعرض ما

تعرضت له الكعبة المشرفة أثناء طوفان نوح عليه السلام .. والأسباب التى من أجلها فرض الله سبحانه وتعالى زيارة مكة والطواف بالبيت الحرام تعظيماً وإكراماً لأنه سبحانه وتعالى قد أنزله من الجنة ليكون مقام عبادة لسيدنا آدم بعد نزوله الى الأرض.. وكلّف الله سبحانه وتعالى آدم بأن يجعله بيتاً معموراً وأمره هو وحواء بالطواف حوله .. وقد طاف آدم ومعه الملائكة حول البيت الحرام .. ولكن بعد الطوفان أصبح مزاراً لبني آدم ، وفرض الله عليهم الطواف حوله .. ويقول المؤلف .. أن بيت الله الحرام الذى أنزله الله من الجنة ، وأثناء الطوفان عرج إلى السماء – بأمر الله – وخلال العروج انفصل عنه جزء يسير فى حمرة الياقوت .. وحسب رواية آخرى أنه أى الجزء الذى انفصل عن البيت الحرام أثناء العروج كان كلؤلؤة بيضاء وأن سيدنا جبريل الأمين هو الذى قام بدفن هذه اللؤلؤ فى جبل أبى قبيس وأن الله سبحانه وتعالى قد أمر سيدنا ابراهيم بإعادة تعمير وإعمار بيته الحرام بعد الطوفان ، وقد تم ذلك بتعاليم من جبريل الأمين الذى أمره أن يبنى الكعبة من حجارة الجبال السبعة المحيطة .. وكان سيدنا إسماعيل آنذاك فى الثالثة من عمره المبارك .. ولكنه كان يساعد والده الحنون ، فكان يحمل الحجارة الصغيرة الخفيفة . أما سيدنا اسحاق فكان فى الثانية من عمره ، بينما كان سيدنا ابراهيم قد بلغ المائة من عمره أثناء بناء الكعبة ، وخلال هذا البناء ؛ آخرج جبريل الأمين الحجر الذى كان قد دفنه فى جبل أبى قُبيس ، ووضعه فى موضعه الحالي حيث زاوية الركن اليماني . ومما رواه الشيخ الترمذي ؛ عن ابن عباس رضي الله عنه :

قال رسول الله ﷺ ؛ الحجر الأسود من الجنة ، وهو أشد بياضاً من اللبن ، فسودته خطايا بنى آدم ..) ... وبعد أن أتم سيدنا ابراهيم بناء الكعبة تلى الآية الكريمة ..

(ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) كمانزلت مئات الآيات الكريمة فى شأن البيت الشريف. وسوف تحرر فى حينها .. [1] .

* * *

(١) لم أحاول مناقشة ما أوردة المؤلف من آراء .. حفاظاً على الجو العام الذى حاول ان يحيط به ما كتبه بهذا الصدد .

أوصاف وضع انصاب الحرم الشريف

مضى الزمان وقام جد الرسول الكريم قصى بن كلاب بتجديد البيت الحرام ، بعد سيدنا ابراهيم عليه السلام .. وظل على هذا الحال حتى بعثة النبى « ﷺ » . وخلال عصيان قوم قريش تهدمت بعض آجزاء مكة ، ومنها بعض آجزاء الكعبة ولكنهم خوفاً من الله تجمعوا جميعاً ، ورمموا الكعبة ، وعمَّروها . لأنهم قد أصابهم القحط لماخرَّبوها... بحيث وصلت بهم الأمور أن أكلوا لحم ا لميتة ، وجفت مياه زمزم .. فأدرك قوم قريش أن الله قد أنزل بهم العذاب .. فذهبوا فى الحال إلي عبد المطلب .. وطلبوا منه أن يصطحبوا معهم محمداً ، وتوجهوا إلى جبل أبى قبيس للإستسقاء وطلبوا من محمد أيضاً أن يدعو معهم .. فتفضل بالقول لهم . ما لم تعمروا البيت الحرام فلن يرضى الله عنكم . فأقسموا جميعاً قائلين يامحمد .. لو أُنزل علينا المطر ، وأُغثنا فنعاهدك .. ونعاهد الله أن نعمر الحرم .. وتعهدوا بذلك .. فرفع المصطفى فى حضور عبد المطلب يديه الكريمتين .. وقال انظروا يا آل قريش إن الغيث سينزل بعظمة الله ، وبقدرة الخالق وعظمته أمطرت السماء ، بحيث ارتوت الجبال والوديان بماء الحياة .. مما جعل سائر قبائل آل قريش يحبون محمداً وبذلوا الهمم فى تجديد الكعبة المشرفة . وكان عبد المطلب آنذاك فى العشرين بعد المائة من عمره .. وهو جد الحبيب المصطفى .. وكان حضرة المصطفى قد بلغ الأربعين .. ولما بلغته رسالة النبوة، كان يباشر عملية بناء مكة ، وأصبح البناء عظيماً ، وأفخم مما قام به الجد قصي .

وحين ذاك توفي عبد المطلب ، ودفن بالقرب من المعلا . وكان سلطان قريش ، وكبيرهم . وبعد النبى « ﷺ » قام أمير المؤمنين أبو بكر الصديق ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وحضرة عثمان ، وحضرة عليٍّ ، وحضرة معاوية ، وحضرة الزبير بن العوام والحجاج يوسف الظالم ، ومن آل العباس أبو جعفر المنصور ، والمهدى العباسى والأشرف شعبان خليفة الموصل ، والملك أشرف بارسباى ، ونور الدين شهيد ، ويوسف صلاح الدين ، والسلطان برقوق ، والسلطان فرج ، والسلطان قايتباى .. لقد قاموا جميعاً بتجديد وتعمير بيت الله الحرام ، وترميم الكعبة المشرفة . ومن آل عثمان قام كل من ؛ السلطان سليم ، وسليمان خان ، والسلطان

مراد الثالث والسلطان أحمد ، والسلطان مراد الرابع فاتح بغداد ، وكذا السلطان ابراهيم .. ولقد قام كل هؤلاء الخلفاء ، وظل الله فى الأرض من الملوك ، والسلاطين ، والأمراء بتوسيع مكة المكرمة ، وترميم الحرم المكي ، والكعبة المشرفة ؛ بحيث فى كل مرة ، خليقاً بأن يكون بيت الفردوس .. وما زال يرمم ، ويتم تعميره .. ومن يوم إلى يوم وسيظل إلى يوم الدين بيتاً معموراً .. « عمَّره الله إلى انقراض الدوران » . وما زال إلى اليوم الصيد ، والقنص حرام داخل حدود مكة ، وما زال الحشيش والنباتات المخدرة لا تنمو بها .. وآحجارها لا تُخرق ولا تصير جيراً .. ولا تُقطَّع أشجارها ، وطيورها .. وحمامها ، ويمامها وقف رسول الله .. لا تروَّع .. ولا تخوَّف .. بل تحط أسراباً .. أسراباً بين الحجاج ، ولا تخاف هى من أحد ، وأحياناً تحط على رأس حاج ، وآحياناً على ظهر ، أو أكتاف آخر .. ولكن لحكمة غريبة .. فهناك الآلاف ومئات الآلاف من الحمائم واليمائم ، ولكن لم يثبت أن واحدة منها قد حطت على سطح الحرم ، أو طلعت فوقه .. ولكن النسر الأبيض والذى يسمونه Cayluk فيأتى إلى سطوح مكة ، ويمكث بها .. ولكن غيره من الطيور ، وكل ذوى الجناح فلا تُحلق حتى فى أجواء مكة ، بل إذا ما اقتربت تعود أدراجها .. وهذا سر من أسرار الله العجيبة ، فكأن الطيور هى الآخرى تعرف شرافة مكة ، وتشرفها .. وتعرف معنى الخشوع .. ولا يجوز بأي حال من الآحوال الفسوق ، والجدال فى الحرم بل هذا حرام ، ومحرَّم .. ومَنْ يجادل فيه لا يعمِّر .. وللحرم الشريف مجموعة من المميزات ، والخواص ؛ أولاً ؛ لو دخله كافر يُسلم ، و لو جاهر بالكفر يُقتل .. وكذا اليهودى .. وإذا ما دخل الظبي ، أو الغزال الحرم فلا يُذبح .. ولا يتعرض له آحد ...

* * *

أوصاف الإحرام للحرم الشريف :

أولاً ؛ فى الجهة الشمالية اعتباراً من منطقة وادي فاطمه ، ومن المكان المسمى عمره أربعة آميال من مكة ، وتدخل هذه المسافة فى حرم مكة المكرمة . وعلى طريق جده بعشرة أميال .. ويمتد حتى منتهى جده .. وإلى أن تصل طريق الطائف إحدى عشر ميلاً .. وعلى طريق اليمن ، وحتى منطقة « يلملم » أربعين ميلاً .. والقادمون من اليمن أو جهاتها يحرمون فى يُلملم .. وعلى طريق العراق ، وإلى أن يتم الوصول إلى المكان المسمى ، ستة أميال . وعلى حدود كل طريق .. وحيث يتوجب الإحرام قد تم إقامة بناء يُنار لمسافة ميل حتى يُدْرَك من منارته حدود الحرم هذه العلامات قد وضعها عدنان ، ثم آضاف هارون الرشيد ، وولده الخليفة المأمون الكثير من الآثار والأبنية الأثرية إلى حرم المدينة ، وآثناء خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي .. وعندما تم فتح مدينة طليطله فى ديار الأندلس ، ولما توجه إليها بألف قطعة من السفن ، وتغلبت على آهلها ، وَجد كنز سيدنا سليمان .. وداخل العجول الذهبية ، وجد ياقوتا أحمراً ، وزمرداً ، وألماساً لا حصر ، ولا عد له .. ووجد الكثير من الأزيار المليئة بالذهب الخالص .. فبنى فى دمشق الجامع الأموى ، وأقام فى مكة العديد ، والكثير من الزينات حتى أصبحت ، وكأنها جنة عدن . وفى البداية أقام من سبعة قناطير من الذهب الخالص مزاباً لمياه الرحمة « المطر » .. ولكن لثقله كان يسقط من حين لآخر . وبعده ، وفى زمن السلطان أحمد كُلّف درويش محمد ظلي والد العبد الحقير بإبداع مزراب آخر . وبينما كان فى الآعتاب العالية قام والدنا بإعادة بناء مزراب ماء الرحمة ، وخلال تلك كان والدنا هو أمين الصرة ، وقد قاموا بوضع المزراب الجديد فوق سطح الكعبة الشريفة . وحتى أنا العبد الحقير قد رأيت هذا المزراب ، وكذلك رأيت ما خطه بيده الكريمة من خطوط بديعة .. ولكن لم يكن كل ذلك يصل إلى مرتبة ما بناه الوليد بن عبد الملك . وقد كان ماصنعه درة مصافة .. وقام عبد الملك بتوسيع الحرم الشريف ، وترميمه ، وأصبح طول مسجد الحرم ثلاثمائة وسبعون ذراعاً مكياً .. وعرضه ثلاثمائة وخمسة عشر ذراعاً مكياً – ولكن الحقير لم يستطع حساب الذراع ولم أقم إلا بالقياس بالخطوة . وقد سطرت ذلك سابقاً ، وإن كان حساب الذراع المكي أقل من الخطوة .. وكان ذلك الحساب مساوياً لما قمت آنا به بالخطوة تقريباً .

* * *